النهار
الثلاثاء 09 -11- 2021 العدد 27573

لبنان والصين... آفاق العلاقات والروابط

العميد الياس فرحات
عضو معهد كونفوشيوس الدولي

عام 1971 في عهد رئيس الجمهورية الراحل سليمان فرنجية ورئيس الوزراء الراحل صائب سلام، اعترف لبنان بجمهورية الصين الشعبية وبدأ التمثيل الديبلوماسي بين البلدين.

لبنان بلد صغير قياسا بالصين الدولة الاكبر في العالم بعدد السكان والرابعة من حيث المساحة. بدأ تعامل اللبنانيين مع الصين خجولا اذ اقتصر على رجال الاعمال وسّجلت اول زيارة رسمية للصين لوزير الخارجية خليل ابو حمد عام 1972.

على الصعيد العسكري زار رئيس اركان الجيش اللبناني الصين عام 1979 وبعده جرى تقليد صيني بدعوة كل من يتسلم منصب رئيس اركان لزيارة الصين، وهذا ما اسس لعلاقات عسكرية صينية - لبنانية. وعام 1993 زار رئيس الجمهورية الياس الهراوي الصين وكانت مناسبة لتطوير العلاقات بين البلدين. عام 2002 زار وزير الدفاع خليل الهراوي الصين على رأس وفد عسكري كنت من بين اعضائه. تضمنت الزيارة توقيع اتفاق بين وزيري الدفاع الصيني واللبناني قدمت الصين بموجبه معدات لنزع الالغام بقيمة مليون دولار.

منذ ذلك الوقت تطور التعاون العسكري الصيني - اللبناني وتابع عدد من الضباط اللبنانيين دورات دراسية على مستويات مختلفة في معاهد جيش التحرير الشعبي الصيني. نشير الى ان وحدة من الجيش الصيني شاركت في قوة المراقبة الدولية في جنوب لبنان، وسقط منها شهداء في قصف اسرائيلي لمراكز المراقبة الدولية في حرب تموز 2006.

على الصعيد التجاري، يمكن القول ان البضائع الصينية غزت الاسواق اللبنانية وباتت في متناول اللبنانيين من كل المستويات المادية، كما ان رجال اعمال لبنانيين اقاموا مكاتب تجارية في الصين وتوسعت علاقاتهم مع رجال الاعمال والصناعيين الصينيين. ولمس التجار اللبنانيون تسهيلات كبيرة في عمليات البيع والشراء والنقل وتحويل الاموال في نظام حديث تمكن من جذب رجال الاعمال للتعامل التجاري مع الصين. لم تحدث مشاكل للتجار اللبنانيين في تعاملهم مع الصينيين، وكانت جميع المعاملات تتم من دون ازعاج ووفقا لعقود واضحة التزمها الصينيون.

في داخل الصين شهد اللبنانيون تطورا مذهلا في الخدمات الفندقية والمصرفية والنقل، وخصوصا بعدما انفردت الصين ببناء القطار السريع بين المدن الكبرى.

على الصعيد الثقافي، بدأ عدد من الطلاب اللبنانيين يتابعون دراسات في الجامعات الصينية وفي مختلف المدن الكبرى. كما شهدت بعض الجامعات الصينية تعاونا اكاديميا مع الجامعة اللبنانية. وفي عام 2019 وُضع حجر الاساس لبناء معهد موسيقي عالٍ في ضبيه شمال بيروت هبة من الحكومة الصينية

بلغت كلفته 31.9 مليون دولار، ومن شأن ذلك ان يعزز الروابط الثقافية بين البلدين والشعبين ايضا.

تعقد في الصين مؤتمرات عديدة وتوجه الدعوة الى شخصيات لبنانية للمشاركة في مواضيع فكرية واكاديمية واستراتيجية وسياسية ينتج عنها مزيد من الفهم المتبادل لثقافة الآخر وتفكيره. من ضمن هذه المؤتمرات مؤتمر سنوي لمعهد كونفوشيوس الدولي الذي عُينت فيه عام 2019 عضوا لمدة خمس سنوات.

كما اعلنت الصين مؤخرا ان الاديبين اللبناني السوري المولد ادونيس والسوري فراس السواح هما اهم شخصيتين ادبيتين عربيتين في العالم. ترجمت اعمال ادونيس الى اللغة الصينية ولقيت رواجا بين المثقفين الصينيين وطبع منها نحو مليون نسخة. والسواح مفكر وباحث سوري في تاريخ الاديان. يشير ذلك الى مدى اهتمام الصين بالثقافة العربية.

كما اقامت الصين معهدا لتعليم اللغة الصينية هو معهد كونفوشيوس في الجامعة اليسوعية، وتلقى العديد من الشباب اللبنانيين دروسا فيه.

على صعيد السياسة الخارجية، من المعروف ان الصين تنتهج سياسة خارجية واضحة ولم يسجل عليها اي تدخل في الشؤون الداخلية للدول. تعتمد سياستها على الصداقة والتعاون من دون التطرق الى مكاسب سياسية. نلاحظ ذلك في دول عديدة في آسيا وافريقيا واميركا واوروبا والتي اقامت علاقات تجارية وثقافية وثيقة مع الصين ولم نسمع عن مقابل سياسي تقاضته الصين من هذه الدول. يمكن تلخيص علاقات الصين الخارجية بمعادلة رابح-رابح حيث يستفيد جميع الاطراف من المشاريع التجارية الكبرى.

تتعرض الصين لحملة تشويه بسبب تقدمها المطّرد في الاقتصاد وتوسعها في التعاون الدولي وفق مبادرة الحزام والطريق التي اطلقها الرئيس شي جينيبينغ، وبسبب تقديمها نموذجا في التعاون الدولي يختلف عن النموذج الغربي الاستعماري.

لم تحتل الصين اي بلد في تاريخها وهي تعرضت لاحتلال بريطاني وياباني في القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين. ليس للصين اطماع توسعية ولا تتضمن سياستها الخارجية ادعاءات بسيادة حقيقية او مقنّعة على اراضي دول اخرى، وجلّ ما تطلبه تحقيق وحدة الارض الصينية في البر الرئيسي وهونغ كونغ وتايوان وماكاو والحفاظ عليها وعدم تهديدها.

تتعرض الصين لحملة تشويه صورتها في التعامل مع سكان اقليم شينغ شانغ من الايغور. بعدما شهد هذا الاقليم عمليات ارهابية من قِبل منظمات ترتبط بالخارج.

كما ان الحكومة وفرت فرص عمل للشباب الصيني في تلك المقاطعة. وشددت على توفير الحريات لسكان الاقليم، وخصوصا الحرية الدينية والعبادات، وحققت بذلك الاستقرار الاجتماعي والسياسي وباتت المنطقة تستقبل سياحا من جميع انحاء العالم، كما ان العديد من الصحافيين الاجانب جالوا في المنطقة وكتبوا وصوروا بشكل واضح صورة الحياة الطبيعية المستقرة التي تخالف ادعاءات بعض وسائل الاعلام الغربية.

اذا اطلعنا على المشاريع الكبرى والبنى التحتية التي نفذتها شركات صينية في باكستان نتأكد من قدرة الشركات على تنفيذ مشاريع حيوية في لبنان، واذا تعرفنا على جودة الانتاج وسرعة التنفيذ، نجد ان الصين هي الدولة المؤهلة لاخراج لبنان من ازمته الاقتصادية من دون املاءات سياسية ولا ترتيب ديون ترهق الاقتصاد اللبناني الذي يعاني من مشاكل عديدة.

من الناحية الجغرافية الاقتصادية يستفيد لبنان من مبادرة الحزام والطريق التي اطلقها الرئيس شي جينيبينغ، هذه المبادرة التي تصل بين الشعوب في اوروبا وآسيا وافريقيا والتي يقع لبنان في منتصف الطريق وبامكانه ان يكون محطة تلاق اقتصادي وثقافي.

تعتبر السياحة من اهم الروابط بين الشعوب والمجتمعات. والشعب الصيني من اكثر شعوب العالم سياحة اذ نراهم في الدول الاوروبية ومصر وتركيا. ولهذا على لبنان ان يسعى لجذب السياح الصينيين الى ربوعه، وانا انصح اللبنانيين بزيارة الصين والاطلاع على معالمها التاريخية والثقافية والاستمتاع بمواردها الطبيعية في المنتجعات المنتشرة في انحاء كثيرة من البلاد.